اللغة كظاهرة اجتماعية رؤية سوسيولوجية من منظور كل من فيردناند دوسوسير، بيار بورديو، ميشال فوكو.

Language as a social phenomenon Sociological vision from the perspective of Ferdinand Dossoser, Pierre Bourdieu and Michel Foucault.

امحمد مرهون

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

mhamed.marhoune@univ-msila.dz

علي عباسي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

ali.abassi@univ-msila.dz

الملخص:

اللغة كنظام تواصل واتصال تتميز بدرجة عالية من التّعقّد والتّخصّص وبسيرورة من التّطور الخاصة بكل مجتمع، والتي تفضي إلى جملة من التجليات والتمظهرات التي تولد في أتون فعالية سوسيولوجية تتميز بتوظيفاتها العلمية والمعرفية عبر النظريات والمداخل السوسيولوجية، فهي تحدد نسق العلاقات المستقرّة والمتجذّرة وحتى المتغيّرة في هذا النسيج، وتكون ضمن الآليات التي تسهم في تحديد المواقع والمراكز المختلفة بين أعضاء المجتمع ككل، فكما يصرّح دوسوسير فإن اللسان "الخطاب" هو واقعة اجتماعية تنطبق عليها كل خصائص الظاهرة الاجتماعية، فالمباشرة بالكلام حدث اجتماعي خطير كما يقول ميشال فوكو لأنه يحدّد الآخر من خلال الخطاب ويعيّن ويبيّن المواقع بين المتكلم والمتلقّي، بينما بورديو في كتابه "ماذا يعني الكلام" أكّد أن ما يتم التبادل به ليس اللغة بل الخطاب الذي يستلهم المعنى والذي بدوره يكتسب قيمة رمزية.

الكلمات المفاتيح: *اللغة؛ ظاهرة اجتماعية؛ رؤية سوسيولوجية؛ فيردناند دوسوسير؛ بيار بورديو؛ ميشال فوكو.*

***Abstract**:*

Language as a communication and communication system characterized by a high degree of complexity and specialization and a process of development of each society, which leads to a series of manifestations and manifestations that are generated in the form of sociological activity characterized by scientific and cognitive functions through theories and sociological approaches.

It determines the format of stable, rooted and even changing relationships in this fabric And, among the mechanisms that contribute to the identification of different sites and centers among members of society as a whole, as Dossoser declares, the tongue "discourse" is a social reality to which all the characteristics of the social phenomenon apply.

Direct speech is a social event Seen as Michel Foucault he says, because it determines the other through the speech and appoints and shows the locations between the speaker and the receiver, while Bourdieu in his book, "What does it mean to speak" confirmed that the exchange it is not the language but the speech inspired meaning, which in turn acquires symbolic value.

***Key words:** Language; a social phenomenon; a sociological vision; Ferdinand Dossoser; Pierre Bourdieu; Michel Foucault.*

مقدمة:

جدلية علاقة اللغة بالمجتمع، أو اللغة كمعطى اجتماعي قائمة منذ أن وجدت اللغة، فجوهر الانسان إنما يرتبط بلغته وحياته الاجتماعية، غير أنه لم يستوف نضجه تنظيرا ومنهجا إلا في عصرنا الحاضر من خلال ما أصبح يعرف بسوسيولوجيا اللغة.

إذ لم يكن فهم اللغة وسيرورة تطورها بمعزل عن حركية المجتمع الناطق بها، ومن ثم فهي التي تقودنا إلى استقصاء ملامح المجتمع وحركيته، فنتعرف من خلالها على أوجه النشاط والتفاعل الاجتماعي، فبها يتوحد أعضاء المجتمع فيعرفون بها وينتسبون إليها.

إن اللغة من المنظور السوسيولوجي ليست مجرد تشكيلات رمزية لمقاطع صوتية معينة، وليست كذلك حروف أبجدية تأتلف فيما بينها لتشكل كلمات دالة على معاني ما، إنما هي أكبر وأعمق من ذلك، فهي التي تشكل الواقع ولها سلطة تاثيرية بالغة على مختلف البنى الاجتماعية والروابط التي تتخللها.

1- مفاهيم ذات دلالة مجتمعية مرتبطة باللغة:

اللغة لها مقدرة كبيرة على تشكيل وتحديد تجليات وسمات المجتمع الناطق بها، وتقدير وتائر انبعاثه وتطوره وحتى ضموره، فهي كما يقرّر علماء اللغة كائن حي يولد وينمو ويتطور وقد يمرض ويهرم ومن ثم يموت، فهي في كل هذا مرتبطة بحياة وحيوية الناطقين بها، وقد ارتبطت ببعض المفاهيم ذات الدلالة المجتمعية التي سنحاول إبراز المهم منها.

1-1- اللغة والحضارة:

إن الواسطة المهمة التي يتحضر بها الانسان ماهي إلا نظام من الرموز يتوسط بين المؤثر والمتأثر، وهذا النظام هو اللغة، فاللغة تضيف بعدا جديدا إلى عالم الانسان[1].

إذن اللغة هي التي تكسو المجتمع برداء الحضارة في مجمل مظاهره وتجلياته سواء العلمية أو الأدبية، فهي التي تطبع وتشكل شخصية المجتمع وتبين مدى تحضره، فبساطة وقلة الرصيد اللغوي لمجتمع ما يرتبط بالضرورة بقلة مردوده الفكري والحضاري.

[1]- آشلي مونتاكو: طبيعة الانسان بيولوجية والاجتماعية، ترجمة: احمد حسين الرحيم، مطبعة الآداب، العراق، 1965، ص66.

1-2- اللغة والثقافة:

انطلاقا من تعريف وارد غودیناف للثقافة "بأنها المعرفة المكتسبة اجتماعيا"[2] أي هي انعكاس للمجتمع بكل تمظهراته فتتجلى علاقة اللغة بالثقافة من حيث أنها متأصلة في حقيقة وجوهر الثقافة المشكلة للمجتمع والموسومة بنظم حياته وعاداته وتقاليده، فتعبّر بذلك عن دلالات مفاهيمية لا تعرف إلا من خلال الأطر الثقافية المشكلة له، فلا يعرف المجتمع إلا من خلال الثقافة المشكلة له وهذه الأخيرة لا تعرف إلا من خلال اللغة التي تشكل وعاءها.

1-3- اللغة والهوية:

إن أفعال اللغة هي أفعال الهوية[3]، نستشف من قول كولماس أن طريقتنا في الكلام تلعب الدور الرئيس في تشكيل هويتنا المجتمعية فهي بريد انتماءنا والطابع الخاص بهويتنا والتي هي امتداد طبيعي لمجتمعنا وأمتنا، لذا فتحصين هويتنا رهين بتحصين لغتنا، وأي عبث بلغتنا هو عبث بخصوصيتنا وتميزنا.

1-4- اللغة والفكر:

اللغة هي الأداة المادية للفكر، فالإنسان لا يستطيع البوح بما يعتمل في عقله إلا باللغة، فكما يقول بنثام "إن الأفكار أحلام مادامت لم تكسوها الكلمات ومادامت عارية منها فهي تطفو في العقل حينا وتختفي منه حينا آخر كما يفعل السحاب في السماء"[4].

إذن الفكر لا يعلن عن نفسه ولا يقدم كفكر إلا باللغة، فهي تثريه وتوحي لحاملها بما يزيد من تفتق ذهنه وسعة أفقه وقدرته على التفكير الإبداعي.

---

[2]- هدسون: علم اللغة الاجتماعي، ترجمة: محمود عياد، ط3، عالم الكتب، القاهرة، 2003، ص120.

[3]- فلوريان كولماس: دليل السوسيولسانيات، ترجمة خالد الأشهب وماجدولين النهيبي، ط1، المنظمة العربية للتربية، بيروت، 2009، ص679.

[4]- م، م لويس: اللغة في المجتمع، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، 2003، ص113.

2- الرؤية السوسيولوجية لكل من دوسوسير، بياربورديو، ميشال فوكو:

2-1- منظور فرديناند دوسوسير للغة:

فرديناند دوسوسير عالم لسانيات سويسري (1857-1913)، يصنّف كأب للمدرسة البنيوية في علم اللسانيات، ومؤسس علم اللغة الحديث في نظر الكثير من الباحثين.

يرجع اهتمامه باللغة من حيث إبراز خصائصها إلى ضرورة منهجية لتحديد موضوع العلم الذي سعى إلى تشكيل لبناته وهو علم اللسانيات أو كما أطلق عليه هو "الألسنية العامة"، لذا يقترح التفريق في الظاهرة اللغوية بين عدة مصطلحات هي اللغة والكلام واللفظ والملكة.

بث دوسوسير –ضمن كتابه دروس في الألسنية العامة- تعاريف جزئية كثيرة للغة، معظمها عرضي، بالإمكان تتبعها لتكوين تعريف كامل يعكس التصور الدوسوسيري للغة، وأهم تلك التعاريف جاء ضمن تمييزه لها عن الكلام وعن الملكة وعن اللفظ[5].

2-1-1- التمييز بين اللغة والملكة:

الملكة استعداد فطري وطبيعي لدى المرء، يمكنه من اكتساب اللغة ومقرّه الدماغ، وهي لا تتحقق إلا في ظل مجموعة، ومؤدى ذلك أن استعمال اللغة رهين وجود هذه الملكة وسلامتها، وما انفراد الانسان باللغة إلا نتيجة لانفراده بهذه الملكة، ولكن هذه الملكة وحدها غير كافية لوجود اللغة، إذ لا نتصور لغة في مستوى الانسان الفرد، بل ينقضي قيامها وجود الفرد في مجموعة، والخلاصة أن الملكة فردية واللغة اجتماعية، والثانية وجدها مشروط بوجود الأولى بينما لا يقتضي وجود الأولى وجود الثانية.

2-1-2- التمييز بين اللغة والكلام:

ينطلق دوسوسير بهذا الخصوص من اعتقاد جازم بأن اللغة والكلام عندنا ليسا بشيء واحد، وإنما هي منه بمثابة فهم معين وإن الفرق الجوهري هنا يتمثل في علاقة جزء هو اللغة –وإن كان أساسيا- بكل وهو الكلام، ثم إن الكلام خليط غير قابل للتصنيف ضمن أي قسم من أقسام الظواهر البشرية (نفس) إذ فيه الفيزيائي والفيزيولوجي والنفسي، بخلاف

[5]- محمد محمود الأمين: مفهوم اللغة بين سوسير وتشومسكي، مقال مقدم بالمؤتمر الدولي الثالث للغة العربية تحت عنوان: الاستثمار في اللغة العربية مستقبلها الوطني والعربي والدولي، 07-10 ماي 2014، دبي.

اللغة لأنها قابلة للتصنيف، فاللغة –على عكس ذلك- كل بذاته ومبدأ من مبادئ التبويب[6] إنها شيء معين مضبوط الحدود ضمن مجموع ظواهر الكلام المتناثرة[7] أي أنها ذات طبيعة متجانسة[8] تمثل في مجموعها نظام كامل مستقل[9].

2-1-3- التمييز بين اللغة واللفظ:

اللغة من وجهة نظر دوسوسير ذات طابع اجتماعي بينما اللفظ ذو طابع فردي كما أن اللغة شيء جوهري وأساسي في حين أن اللفظ ثانوي وعرضي، يقول دوسوسير: "وهكذا فإننا إذ نفصل اللغة عن اللفظ نفصل في الآن نفسه أولا ما هو اجتماعي عما هو فردي، ثانيا ما هو جوهري عما هو ثانوي"[10]، أضف إلى ذلك أن اللغة قوامها الشكل خلاف اللفظ الذي قوامه المادة (الصوتية والدلالية).

2-2- منظور بيار بورديو للغة:

عالم الاجتماع والفيلسوف والمفكر الفرنسي بيار بورديو (1930-2002) أحد أبرز أعلام حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية، أحدث ثورة مفاهيمية وإبداعية من حيث المضامين الفكرية والمصطلحات التي أسس لها في مختلف كتبه التي تتميز بالثراء المعرفي والزخم الفكري.

بداية بورديو يرى أن اللغة التي يستخدمها السوسيولوجيين لابد أن تكون نابعة من المدار الاجتماعي، وبالتالي البعد عن استعارة واستخدام العبارات والمفاهيم الشائعة ذات المصدر البيولوجي والفيزيائي وغيرهما، أي استخدام مصطلحات ومفاهيم سوسيولوجية تتوضح من خلالها مهامها والوظائف التي تقوم بها، أي عالم الاجتماع حتى يتخلص من الفكر الاجتماعي العفوي لابد من استعمال لغة سوسيولوجية تخضع لضوابط منهجية تنأى به عن استخدام مفردات خام ومفاهيم مسبقة على اعتبار أن هذه المفردات تستمد سلطانها كما يقرر دوركايم من الوظائف الاجتماعية التي تقوم بها، لذلك وجب الاستعانة بالقطيعة

---

[6]- فرديناند دوسوسير: دروس في الألسنية العامة، ترجمة صالح القرمادي وآخرون، ط1، دار العربية للكتاب، 1985، ص ص29-31.

[7]- المرجع نفسه، ص35.

[8]- المرجع نفسه، ص36.

[9]- المرجع نفسه، ص47.

[10]- المرجع نفسه، ص34.

الممكنة حيث يرى أنه "لابد لعالم الاجتماع أن يقوم بنقد دائم لا هوادة فيه للبديهيات المضللة والعمياء التي تمدنا من دون عناء بوهم المعرفة المباشرة التي توهم بأهمية المعطيات التي تقدمها إليه نظرا لكثرتها وغناها وتشعبها"[11].

لذلك نجد أن الزاوية التي تناول منها بورديو اللغة كانت مختلفة عمن سبقه فقد أسس وأصّل في مجمل تحليلاته لمصطلحات ومفاهيم خاصة به مثل السلطة الرمزية، والرأسمال الرمزي، والعنف الرمزي، والحقل، والسوق اللغوية...الخ؛ ففي كتابه "ماذا يريد الكلام أن يقول" يرى أن العمليات اللغوية التي تتم كلها ذات أساس اجتماعي، وأن عمليات التبادل والتأثير ترتكز على علاقات قوة وهيمنة، وأن اللغة تخضع للسوق اللغوية كما يقرر، ويحكمها الرأسمال اللغوي بوصفه رأسمال رمزي، فقد وسّع بورديو مفهوم رأس المال التي طرحها كارل ماركس وحصرها في الشق الاقتصادي، من حيث أنه في رؤية بورديو يتعدى هذا الشّق إلى أبعاد أخرى تشكل في مجملها رساميل متعددة يستخدمها الفاعلون ضمن ممارساتهم مثل رأس المال الثقافي، ورأس المال الاجتماعي، ورأس المال الرمزي، ورأس المال اللغوي، والذي يرى بورديو أنه يوازي دائما أرباحا لغوية محصّلة "فإن أي فرد ولد في الاحياء الراقية وهذا هو الوضع الفعلي لمعظم الذين يحكمون فرنسا، بمجرد أن يفتح فمه يتلقى ربحا لغويا، ليس خياليا ولا وهميا، لأن طبيعة لغته نفسها والتي يمكن تحليلها صوتيا تقول أنه مؤهل ومفوّض للكلام بصرف النظر عما يقوله"[12]، أي أن المتكلم ومن خلال استعمال اللغة في خطابه هي بمثابة عنف رمزي بحيث يكون كل الحيّز الاجتماعي بمختلف مؤسساته تحت سيطرته وتصرفه مما يمكنه من أن يشرعن كلامه ويجعل له مقبولية، حتى وإن كان دون معنى، فلا يستطيع أن يؤثر عن طريق الكلمات على الآخرين إلا لأن لغة خطابه مستمدة من الرأسمال الرمزي الذي وفّرته الجهة التي فوضته وأوكلت له النطق باسمها وأسندت له هذه السلطة، وهذا العنف الرمزي أشبه بالأفيون الذي يسيطر على ضحاياه ويدمرهم دون شعور أو مقاومة منهم، من خلال ما أطلق عليه بورديو "السلطة الرمزية" التي يقول بصددها

[11]- بيار بورديو وآخرون: حرفة علم الاجتماع، ترجمة: نظير جاهل، ط1، دار الحقيقة، بيروت، 1993، ص19.

[12]- عبد الكريم بزاز: علم اجتماع بيار بورديو، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع، جامعة قسنطينة، 2006-2007، ص148.

في كتابه الرمز والسلطة "إن السلطة الرمزية هي سلطة لا مرئية ولا يمكن أن تمارس إلا بتواطؤ أولئك الذين يأبون الاعتراف بأنهم يخضعون لها بل ويمارسونها"[13].

فكل عنف مهما كان مساره يهدف صاحبه إلى التعدي والسيطرة على إنسانية الآخر وهذا أكده المفكر الفرنسي بول ريكور بقوله: "العنف يتجه في مساره، بوضوح أو بغموض، بصورة مباشرة أو غير مباشرة إلى السيطرة على الآخر والهيمنة على مقدرات وجوده"[14].

أما العنف الرمزي عند بورديو فيراد به استخدام الدلالات والمعاني والرموز من أجل الهيمنة والسيطرة على الآخرين دون استعمال وسائل القوة المعلنة، بل يتم بصورة رمزية لا يُتعرَّف عليها في الغالب من طرف الآخرين، واللغة والخطاب من ضمن هذه الوسائل، وهو ينحو إلى توليد حالات من الإذعان والطوعية من خلال مجموعة من الأفكار والإيديولوجيات التي تصدر من الهيئات الاجتماعية المتحكّم فيها، مما يعطيها طابع الشرعية والمقبولية من خلال إعادة الإنتاج الثقافي وهذا ما أشار إليه أنتوني غدنز في كتابه علم الاجتماع بقوله: "يشير مفهوم إعادة الإنتاج الثقافي إلى الوسائل والطرق التي تنتجها المدارس بمشاركة المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية الأخرى، لإدامة نواحي اللامساواة الاجتماعية والاقتصادية جيلا بعد جيل"[15].

إذن اللغة عند بيار بورديو ليست فقط للتواصل لكنها تؤسس معجما دلاليا تصنيفيا، وهذا بالرجوع إلى نوعية اللغة السائدة داخل الأسرة، فالمدارس كما يقرّر تعمل على إقصاء وتهميش لغة الطبقات الفقيرة، أي أنها تخضع لمعيار الأصل الاجتماعي، فبذلك تعتبر بمثابة عنف رمزي لأنها تفوّض ثقافة الطبقة المهيمنة وتشرعنها لإعادة انتاج النظام القائم، فالتربية والثقافة لا تعبّر بالضرورة في المجتمع الواحد عن رؤية واحدة، بل هناك ثقافات متعددة متصارعة بتعدد القوى والطبقات الاجتماعية.

2-3- منظور ميشال فوكو للغة:

ميشال فوكو (1926-1984) فيلسوف ومفكر فرنسي بارز لقّب بأستاذ القاعات السبعة لأنه كان عند دخوله لإلقاء محاضراته في قاعة كوليج دو فرانس، يجدها ممتلئة عن لآخرها مما دفع بالمنظمين إلى ربط قاعات أخرى وصل عددها إلى سبع قاعات بمكبرات الصوت لاستيعاب العدد الهائل من الطلبة، ورغم أنه دائما يرفض تصنيفه ضمن مدرسة ما

[13]- بيار بورديو: الرمز والسلطة، ترجمة: عبد السلام بنعبد العالي، ط3، دار طوبقال للنشر، المغرب، 2007، ص48.

[14] - Paul Ricoeur : Histoire et vérité, Le seuil, Paris, 1955, P227.

[15]- أنتوني غدنز: علم الاجتماع، ترجمة: فايز الصياغ، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005، ص561.

بعد الحداثة إلا أنه يلتقي مع أصحاب هذا الاتجاه ويتقاطع معهم في الكثير من أفكاره التي صاغها في العديد من كتبه الغزيرة.

تميزت تحليلات فوكو بنظرة جديدة متجددة قلبت المفاهيم السائدة خاصة عن المعرفة والسلطة، هذه الأخيرة كان ينظر إليها على أنها الأساس الذي يتنج المعرفة وليس العكس، بلور معظم أفكاره عن اللغة والخطاب في العديد من كتبه خاصة 'أركيولوجيا المعرفة'، حيث يرى أنه "ليس وعيا يسكن مشروعه في الشكل الخارجي للغة، ليس الخطاب لغة تضاف لها ذات تتكلمها، بل هو ممارسة لها أشكالها الخصوصية من الترابط والتتابع"[16].

وأكد أن الخطاب "لم يصبح أداة في يد السلطة فقط، بل يشكل في ذاته سلطة قائمة، ووفقا لآراء فوكو تعمل السلطة من خلال الخطاب على قولبة التوجهات والمواقف العامة لدى الناس تجاه مجموعة من الظواهر مثل الجريمة والجنون والنشاط الجنسي، ومن هنا فإن هذه الخطابات تمثل أدوات قوية للحد من وسائل التفكير أو الحديث البديلة، وتصبح المعرفة واحدة من قوى السيطرة والضبط"[17].

فللخطاب سلطة تنم عن قوة وتؤسس لاستقلالها، وهذا الوجود المستقل هو الذي يخيف لذا يتم فرض رقابة شديدة على الخطاب وسلطته.

ويرى عبد السلام حيمر أن "إجراءات مراقبة الخطاب والتحكم فيه بالتقليل من عدد الذوات المتكلمة التي يسمح لها المجتمع -على وجه الحصر- وفق قواعد وشروط يجب أن تتوافر فيها بإلقاء الخطاب الشرعي المقبول والمسموح باستخدامه وتداوله فأربعة هي:

1- طقوس الكلام:

يرى فوكو أن تبادل الخطابات في الثقافة الغربية إنما يتم في إطار منظومات الحصر التي تتمثل في الطقوس المصاحبة للخطاب وتمارس عليه إكراها، تلك الطقوس التي تحدد المواصفات والأدوار والسلوكات التي يلزم أن تتصل بها الذوات المتكلمة وهي تستعمل الخطاب وتتبادله وتتداوله...

2- جمعيات الخطاب:

في المجتمعات القديمة ظهرت جماعات مغلقة احتكرت وظيفة إنتاج وتداول هذا النوع من الخطابات أو ذاك وفق قواعد لا تتوافر إلا فيها، ومنعتها على من ليس بأهل لها، أي

[16]- عبد العزيز العيادي: ميشال فوكو المعرفة والسلطة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 1994، ص20.

[17]- أنتوني غدنز: مرجع سابق، ص722.

على من لا تتوافر فيه تلك القواعد وتشكل تلك الخطابات المقصورة على فئات وجمعيات محددة تعتبر أهلا لها، ما يمكن تسميته "بالمضنون به على غير أهله"...

3- المجموعات المذهبية:

إذا كانت المجموعات المذهبية (دينية كانت أو فلسفية أو سياسية) تختلف عن جماعات الخطاب بكونها أكبر حجما، وأكثر عددا وانتشارا داخل المجتمع، فإنها تتقاسم معها ومع الفروع المعرفية أيضا في خاصية أساسية هي اشتراك أعضاء كل منها في استعمال وتداول خطابات مخصوصة بها مقتصرة عليها...

4- التملكات الاجتماعية:

لا تخضع الخطابات في المجتمع البشري لتراتبية تتوزع بمقتضاها تلك الخطابات إلى أساسية وثانوية فقط، بل إن أفراد المجتمع أنفسهم يخضعون لتراتبية في تملكهم الاجتماعي للخطابات، فليس الناس جميعهم متساوين في حق تملك الخطاب انتاجا واستهلاكا وتبادلا...[18].

ينطلق فوكو إذن من فرضية مفادها أن انتاج الخطاب في كل المجتمعات إنتاج مراقب بواسطة عدد من الإجراءات التي تلتقي لتراقب وتتحكم وتحد من سلطة وسيطرة الخطاب، وقد حددها فوكو فيما أسماه بالسياج وهي إما تكون داخلية وإما خارجية.

أ- الإجراءات الخارجية: وهي التي ترقب الخطاب من الخارج، وتتمثل في:

• المنع والحظر: حيث يطال أشكال الخطاب فلا يُسمح بالحديث عن بعض المواضيع، أو تقييدها وخصّ موضوعات كالجنس والسياسة.

• التقسيم والرّفض: من خلال تقسيم ما يتقبّلونه ويعتبرونه طبيعيا وما يرون فيه شاذّا وغير طبيعي، وقد درس هذه العملية بالتفصيل في 'تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي'، حيث خطاب المجنون يكون إما فارغا أو له قدرات كالجهر بالحقائق المخفية.

• إرادة المعرفة والحقيقة: من خلال ما يعتبر مقبولا وصحيحا وطرح ما يعتبر خاطئا، ومن خلالها تتبع فوكو الفكر الغربي بدءا من العصر اليوناني وحتة العصر الحديث.

ب- الإجراءات الداخلية: وتخص الخطاب ذاته وتتمثل في:

[18]- عبد السلام حيمر: في سوسيولوجيا الخطاب – من سوسيولوجيا التمثلات إلى سوسيولوجيا الفعل، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2008، ص ص 235-236.

• التعليق: من خلال تراتبية المجتمعات التي تشكل تفاوت بين الخطابات في كل مجتمع، فتنقسم بذلك الخطابات إلى أساسية قابلة للتداول، وأخرى تشرحها وتعلق عليها، لكن العلاقة بينهما غير ثابتة ومطلقة.

• وظيفة المؤلف: الخطاب لا يصبح شرعيا ومعترف به إلا إذا أسند إلى مؤلف في نظر فوكو كالمجالات الأدبية والعلمية، لأن هذا يجعله يتجاهل الوظائف الاجتماعية للمؤلف فهو في الأساس يحقّق وظيفة الاجتماعية، لكنه أقرّ بوجد خطابات بدون مؤلفين والتي من ضمنها أحاديث الحياة اليومية والمراسيم وغيرهما، لذلك حاول في كتابه 'الكلمات والأشياء' أن يحلّل مجموعة من الخطابات بدون مؤلفها.

• الفرع المعرفي: يعمل هذا الإجراء على التقليل من سلطة الخطاب من خلال مجموعة من المعايير التي تجعله ينتمي أو يبتعد عن مجاله، ويضرب مثالا عن ذلك بنظرية الوراثة لصاحبها مندل التي لم تلق القبول في عصرها رغم صدقيتها واعتُمِد بدلها نظرية شيلدن لأنها تتماها والخطاب البيولوجي آنذاك.

إذن حاول فوكو دائما تحليل الخطابات من خلال علاقتها بالسلطة حيث كان يراها تتمفصل في الخطاب مما يجعله –أي الخطاب- يشكل سلطة في حد ذاته لكن دون الابتعاد عن سيرورة المجتمع وحركيته.

في الأخير نستشف من خلال رؤية ومنظور كل من فرديناند دوسوسير، وبيار بورديو، وميشال فوكو، أنه توجد علاقة قائمة ومتبادلة بين بنية الخطاب ونسقه وأبنية وأنساق المجتمع، ولعل هذا ما أكده فوركلوف بقوله: "أرى أنه لا توجد علاقة خارجية بين اللغة والمجتمع، بل علاقة داخلية وجدلية، فاللغة جزء من المجتمع، والظواهر اللغوية ظواهر اجتماعية فعلا، وإن تكن من نوع خاص، والظواهر الاجتماعية ظواهر لغوية إلى حد ما"[19].

[19]- نورمان فوركلوف: تحليل الخطاب – التحليل النصي في البحث الاجتماعي، ترجمة: طلال وهبة، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2009، ص17.

خاتمـــة:

مما سبق يظهر لنا أن اللغة ممارسة اجتماعية وأداة يسخّرها منشئ الخطاب لتحصيل غايات سلطوية معينة، فكلما انخرط الانسان في استعمال اللغة بأي شكل من الأشكال، فقد انخرط بالضرورة في ممارسة اجتماعية، فاللغة هي التي تجعل أي مجتمع يتصرّف ويفكر وفق حدودها وأبنيتها، إذن اللغة كظاهرة اجتماعية تتطلب النظر في مجموعة من العلاقات كعلاقة اللغة بالمعرفة، وعلاقتها بالثقافة، وعلاقتها بالسلطة، واستحضار رؤى السوسيولوجيين التي أثرت هذا الجانب وتناولته كلّ حسب منظوره ورؤيته، فرغم أن دوسوسير كان له السّبق في إرساء نظام معرفي متماسك للغة التي فصل داخلها بين الكلام واللسان الذي هو واقعة اجتماعية تتّصف بخصائص الظاهرة الاجتماعية، إلا أن رؤية كل من بيار بورديو وميشال فوكو كانت متجددة وذات بعد اجتماعي عميق من خلال تحليل جذري لعلاقة الخطاب بالممارسة والتمثلات التي تتجسّد في السلطة والهيمنة والسيطرة وإعادة انتاج النظم القائمة.

قائمة المراجع:

أ- المراجع بالعربية:

- آشلي مونتاكو: طبيعة الانسان بيولوجية والاجتماعية، ترجمة: احمد حسين الرحيم، مطبعة الآداب، العراق، 1965، ص66.

- أنتوني غدنز: علم الاجتماع، ترجمة: فايز الصياغ، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005، ص561.

- بيار بورديو وآخرون: حرفة علم الاجتماع، ترجمة: نظير جاهل، ط1، دار الحقيقة، بيروت، 1993، ص19.

- بيار بورديو: الرمز والسلطة، ترجمة: عبد السلام بنعبد العالي، ط3، دار طوبقال للنشر، المغرب، 2007، ص48.

- عبد السلام حيمر: في سوسيولوجيا الخطاب – من سوسيولوجيا التمثلات إلى سوسيولوجيا الفعل، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2008، ص ص 235-236.

- عبد العزيز العيادي: ميشال فوكو المعرفة والسلطة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 1994، ص20.

- عبد الكريم بزاز: علم اجتماع بيار بورديو، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع، جامعة قسنطينة، 2006-2007، ص148.

- فرديناند دوسوسير: دروس في الألسنية العامة، ترجمة صالح القرمادي وآخرون، ط1، دار العربية للكتاب، 1985، ص29.

- فلوريان كولماس: دليل السوسيولسانيات، ترجمة خالد الأشهب وماجدولين النهيبي، ط1، المنظمة العربية للتربية، بيروت، 2009، ص679.

- م، م لويس: اللغة في المجتمع، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، 2003، ص113.

- محمد محمود الأمين: مفهوم اللغة بين سوسير وتشومسكي، مقال مقدم بالمؤتمر الدولي الثالث للغة العربية تحت عنوان: الاستثمار في اللغة العربية مستقبلها الوطني والعربي والدولي، 07-10 ماي 2014، دبي.

- نورمان فوركلوف: تحليل الخطاب – التحليل النصي في البحث الاجتماعي، ترجمة: طلال وهبة، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2009، ص17.

- هدسون: علم اللغة الاجتماعي، ترجمة: محمود عياد، ط3، عالم الكتب، القاهرة، 2003، ص120.

ب- المراجع بالأجنبية:

- Paul Ricoeur : Histoire et vérité, Le seuil, Paris, 1955, P227.